محاضرة(7-8): أدوات الربط الحجاجي
(الروابط والعوامل الحجاجية)

تمهيد

يرتبط مفهوم السلّم الحجاجي بمفهوم آخر هو مفهوم **الوجهة الحجاجية**، وهي: الاتجاه الذي (يعيّن) للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، وتعدّ هذه الوجهة خاصيّه من خصائص الجملة، وهي التي تحدّد معنى القول، وفي هذا المثال توضيح لما سبق:

-سنفلس، إنّ ثمن هذه البضاعة 200 دينار.

-سنوفر مالا كثيرا، إنّ ثمن هذه البضاعة 200دينار.

فالقول: (إنّ ثمن البضاعة 200 دينار) قول محايد من ناحية وجهته الحجاجية، وهو يصلح أن يكون حجّة مؤدية إلى نتيجة فحواها "البضاعة باهظة الثمن"، كما يصلح أن يكون حجة تؤدي إلى النتيجة المعاكسة وهي أنّ البضاعة زهيدة الثمن .

ولكي تتحدّد هذه الوجهة يلزمها أدوات ربط ، وهي ما يُصطلح عليه بالروابط والعوامل الحجاجية:

1-**<u>الروابط الحجاجية</u>:** تنتمي الرّوابط الحجاجية إلى بنية اللغة نفسها، «فالرابط الحجاجي مورفيم (وحدة مورفولوجية) تصل بين ملفوظين أو أكثر جرى سوقها في إطار استراتيجية واحدة» . ومعنى هذا القول أنّ الروابط هي عناصر من بنية اللّغة، وهي لا تدل بحدّ ذاتها على أي معنى، وإنّما طبيعتها أن تربط فقط ، فالروابط الحجاجية عناصر لغوية نحوية يستعملها المخاطب في كلامه لترتيب حججه والمفاضلة بينها لخدمة نتيجة ما، أو لإدراج حجة جديدة أقوى من الحجج السابقة، كلّ ذلك وفق معيار القوّة والضعف. وقد صنّفت هذه الروابط وفق مجموعة من المعايير أهمها:

-معيار الوظيفة:

-الروابط المدرّجة للحجج: وتتمثّل وظيفتها في إيراد الحجّة وهي :(حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...الخ).

-الروابط المدرّجة للنتائج: وتتمثل وظيفتها في إيراد النتائج وهي من قبيل: (لهذا، إذن، بالتالي...الخ).

-معيار العلاقة بين الحجج:

ويحدد هذا المعيار نمطين من الروابط وهي:

-روابط التعارض الحجاجي: وهي مجموعة الروابط التي تربط بين الحجج المتعارضة وهي: (بل، لكن، مع ذلك....).

-روابط التساوق الحجاجي: وهي الروابط التي تربط بين الحجج المتساندة مثل :(حتى، لاسيما، الواو، الفاء، ثم....).

ويمكننا تلخيص ما سبق في هذه الخطاطة:

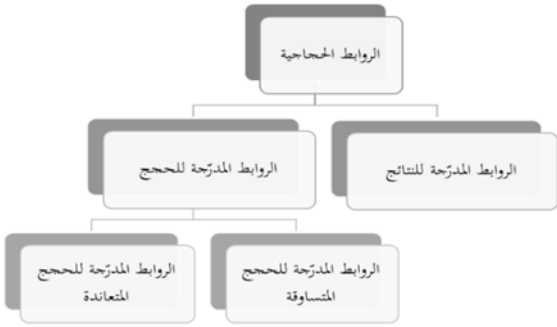

وهذه بعض الأمثلة للتوضيح:

الأداة (بل): وهي من الأدوات التي يستعملها المخاطب لترتيب الحجج والمفاضلة بينها ومن ذلك قول الماء: «لا أتجاوز حدّ العبيد، ولا أنازع سيّدي فيما اختص به من الصفات التي لا تفنى ولا تبيد، بل أخشى دائما بطشه» ، فقد نفى المخاطب عن نفسه صفة الكبر بنفي تجاوز حدّ كونه عبدا، فجاءت في أدني درجات السلم ولا ينازع سيده في الصفات التي لا يّتصف بها أحد سواه وهي الكبرياء، وأثبت لنفسه الخشية من الله رب العالمين، وجعلها في أعلى درجات السلم بالربط بينها وبين ما قبلها بـ (بل).

ومن هذه الأدوات أيضا (لكن)، وهو حرف مشبّه بالفعل تفيد الاستدراك، «ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنك لما أخبرت عن الأول، بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلباً، وإن إيجابياً. ولذلك لا يكون إلا بعد كلام، ملفوظ به، أو مقدر... ولا تقع لكن إلا بين متنافيين...

وقال الزمخشري: لكن للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين، نفياً وإيجاباً. فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي...والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ» .

وهذا يوضّح أنّ المخاطب يستدرك بها بعد نفي أو إيجاب مثل: « ولهذا كان الصبر على الغربة حميد، وقتيلها إن رضي بقضاء الله شهيدا، ولكن أين من يقوى على حمل أعباء مالها من المؤونة» ، في هذا المثال يتجه الحجاج نحو نتيجة مفادها أنه لا يوجد من يقوى على تحمّل أعباء الغربة (لا يوجد من يغترب) بالرّغم من أنّ الصّبر عليها صفة مستحبة، ومن يموت فيها

ينال الشهادة، إلاّ أنّ النتيجة جاءت عكس المتوقع من المقدمات وكانت لكن بين الإيجاب والنفي، والخطاب الذي يأتي تالٍ لها هو الحجة الأقوى، وبالتالي يستعمل المخاطب لفظ لكن لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما سيتلوها اعتمادا على ما قيل قبلها.

ومن أدوات السلم الحجاجي أيضا (حتى) ولها مجموعة من الوظائف منها العطف على أن يكون «المعطوف اسما ظاهرا، وأن يكون جزءا من المعطوف عليه أو كالجزء منه، وأن يكون أشرف من المعطوف عليه أو أخسّ منه، وأن يكون مفردا لا جملة» .

فنقول مثلا: مات الناس حتى الملوك، فدور حتّى لا يتمثل في إضافة معلومة (موت الملوك)، «وإنّما يتمثل في إدراج حجّة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبلها، والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية» .

فالملوك أعظم شأنا من العامّة وهم يموتون أيضا، وهي حجّة أقوى على أنّ الكل يموتون ولا ينجو أحد من هذا المصير، والشيء نفسه بالنسبة للتحقير، كأن نقول: غلبك الجميع حتى الصبيان، توجّه الحجاج نحو نتيجة مفادها (صفة الجبن) بإدراج حجّة قويّة تمثّلت في انهزامه أمام الصبية.

ولهذه الأداة (حتى) استعمالات حجاجية أخرى منها دلالتها على التعليل، لأنّ «مفهوم العلاقة الحجاجية مفهوم عامّ ومرن، وقد يرد على شكل علاقة شرطية أو سببية أو تفسيرية أو تبريريه أو استنتاجيه» ، ولدينا المثال الذي قدّمه أبوبكر العزاوي:

-عليك أن تعمل حتى تنجح.

-ولدينا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الأنفال:53) .

وتكون العلاقة سببية، وقد تكون شرطية في الآن نفسه.

فحتى من الروابط الحجاجية وهي آلية من آليات الحجاج، تضمن ترتيبا للحجج في السلم، فتقدّم الحجة القوية على اعتبارها الأقوى من كل الحجج، وعلى اعتبارها الحجة الأخيرة التي تُقدّم دعما للنتيجة المقصودة، فتكون بذلك الحجة في أعلى درجات السلم.

وتعمل باقي الروابط التي ذكرناها آنفا بالطريقة ذاتها، محقّقة الوظيفة الحجاجية للّغة حسب ما تسمح به دلالتها واستعمالاتها بصورة طبيعية.

-العوامل الحجاجية:

لا تخرج العوامل الحجاجية عن بنية اللغة، فهي: «الواسمات اللغوية المختصة في تعيين الوجهة الحجاجية... واسم لغوي يقيد احتمالاتها عندما يعيّن لها الوجهة الحجاجية» ، وهذا ما وضحّه أبوبكر العزاوي بقوله: «أمّا العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات

حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما» ، ومفاد ذلك أنّ عمل هذه الآلية ليس الربط بين الحجج والنتائج، وإنّما توجيه الحجاج وجهة معينة، وتقييد احتمالات تأويلها، وبالتالي يؤدي إلى نتيجة مقصودة. ومن هذه العوامل: ربما، تقريبا، كاد، ما، إلا، وجل أدوات القصر، ولتوضيح الفكرة ندرج المثال التالي:

ق1-الساعة تشير إلى الثامنة.

ق2-لا تشير الساعة إلاّ إلى الثامنة.

فإدخال العامل الحجاجي (لا...إلاّ) لم ينتج عنه اختلاف في المحتوى الإعلامي، لكن الإمكانات الحجاجية المتاحة تقلّصت، فالقول ق1 له إمكانات حجاجية متعدّدة، فهو يخدم النتيجة (أسرع) كما يخدم النتيجة (تمهل) أو (لا تسرع)، لكن بدخول أداة الحصر أو العامل الحجاجي (لا...إلا) تقلّصت الإمكانات الحجاجية وأصبح الاستنتاج العادي هو: لا داعي للإسراع.

فالعوامل الحجاجية إذن أدوات لغوية، تبرز في مكونات متنوعة ومستويات مختلفة من بنبه اللغة، وتتمثل في: النفي والاستثناء والشرط والجزاء، كما نجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محدّدة تؤثر في التعليق النحوي، وتتوزع في مواضع متنوعة من الجملة منها حروف الاستئناف والاسوار (بعض، كل، جميع...) .

وعليه فالروابط والعوامل الحجاجية كثيرة ومتنوعة باتساع اللغة، وهي ليست كما يوحي الاسم (الآليات شبه المنطقية) بالصرامة والدقة المتوقعة، وإنّما المخاطب في سعة من أمره في استعمال هذه الآليات وفق ما يخدم غاياته الحجاجية، وتبقى البراعة القولية وحسن الاستدلال عاملان مهمّان في إنجاح العملية الحجاجية، باستخدام هذه الآليات بشكل طبيعي دون تكلّف صوريّ.

ويتبين لنا ممّا سبق أنّ الآليات والتقنيات الحجاجية لا يمكن حصرها أو جعلها إطارا موحَّدا تظهر من خلاله كل النصوص، بل هي وسائل يختارها ويتخذها المتكلم للتأثير في المتلقي، فهي بتعبير القدماء البصر بالحجة، أي «حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسدّ المتكلم السّبيل على السّامع، فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجّة والخروج عن دائرة عملها» ، وتظهر هذه الآليات في بنية اللغة التي يستعملها المتكلم، والعلاقات التي تربطها بالسياق اللغوي أو السياق المقامي.